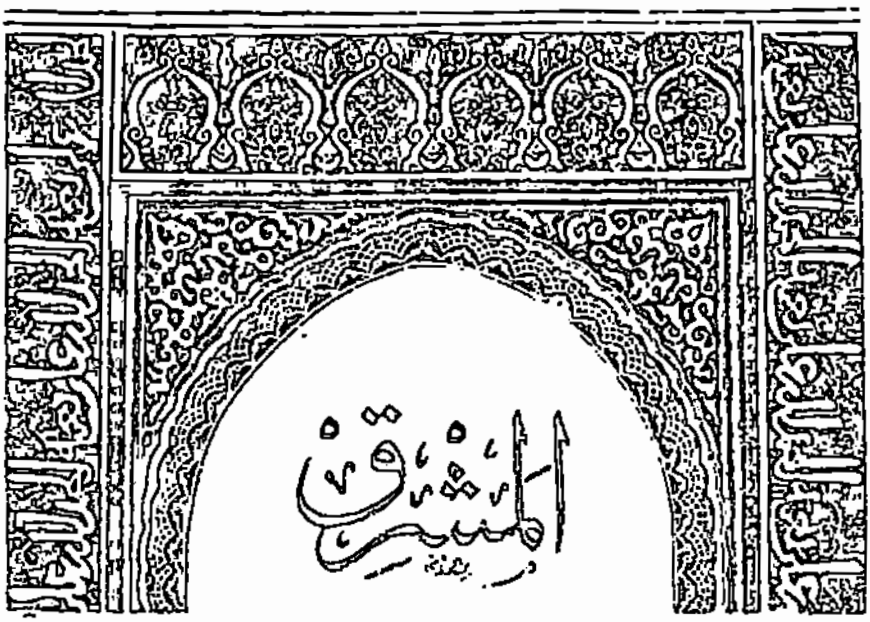

السنة الحادية والثلاثون — آب وايلول ١٩٣٣

سنة الفداء

بقلم الاب بولس موترد اليسوعي

اوفت قداسة الحبر الاعظم افتتح بمنشوره « Quod nuper » يوبيلًا خارق العادة ، في هذه السنة ١٩٣٣ ، للاحتفال بمرور تسعة عشر قرنًا على سرّ الفداء العظيم . ولقد قال نفسه ، في خطاب القاه في عيد الميلاد سنة ١٩٣٢ ، ان هذه السنة المختارة « توافق رأي عامة المؤمنين الذين يجعلون ، دون ما تفتيش او بحث ، السنة الثالثة والثلاثين من حسابنا الجاري تاريخًا لوفاة المخلص ».

واذًا فليس في منشور الاب الاقدس ما يقيّد سلطة نائب المسيح المعصومة عن الخطأ . فهو لا يقرّر السنة ٣٣ كتاريخ حقيقي لسرّ الفداء ، ولا يتدخل في مجادلات المؤرخين وعلماء التفسير . ويكفينا ، في ذلك ، ان نتحقق الشك الذي صرح به في الجملة الثانية من المنشور اذ قال : « إنه ، وان لم نكن على تمام اليقين من السنة التي حدث فيها هذا السرّ العظيم ، فلا يمكننا ان نقابل بالسكوت

ذكرى هـذا الحادث ، بل ذكرى هذه السلسلة من الحوادث العجيبة الفائقة الاهمية ».

على ان افتتاح هذا اليوبيل لفت انظار العالم المتمدّن باجمعه الى وفاة المسيح ، فأثار مشكلةً قديمة كثيرًا ما عالجها علماء التفسير ، وانهم ليعودون اليها اليوم ، وقد اصبح الشعب بكامله يهتمّ بها بفضل هذا اليوبيل ، الا وهي سنة وفاة المسيح . واننا لنعتقد ان قرّاء « المشرق » يتشوّقون كغيرهم الى الاطلاع على هذا الامر ، فنرى من واجبنا ان نلخّص لهم حالة المسألة الحاضرة .

لا يخفى ان كتبة الاناجيل كانوا ، كغيرهم من مؤرخي العصر القديم ، لا يهتمّون الاهتمام الكافي بذكر سني الحوادث التي يدوّنونها . حتى اننا لا نرى الا واحدًا منهم ، هو القديس لوقا ، يشير مرة واحدة (٣ : ١) الى تاريخ احدى الحوادث فيقول ان يوحنا المعمدان بدأ بعثته « في السنة الخامسة عشرة من ملك طيباريوس قيصر » . ثم يعدّد بعض الظواهر الموافقة لهذا الامر ، دون ان يشير الى سنة صريحة الّا « الخامسة عشرة من ملك طيباريوس » كما تقدّم . على ان هذا التاريخ نفسه لا يخلو من اضطراب والتباس ، كما سنرى ، بالنسبة الى من يقرأه في القرن العشرين .

وعليه ، أفنكون صفرًا من كل دليل يمكننا من ان نعيّن ، وان تقريبيًّا ، تاريخ السنة التي حصل فيها فداؤنا ؟ لا ، واليكم الاسباب :

كما ان وفاة هيرودس الكبير ، التي حدثت في السنة الرابعة قبل ابتداء حسابنا الجاري ، مكّنتنا من جعل ميلاد المسيح ، لا في السنة الاولى من الحساب المذكور الذي وضعه الراهب دينيس الصغير (Denys le Petit) بل في الفترة الواقعة بين السنة التاسعة والرابعة ، كذلك يمكننا ، بالاستناد الى بعض الحوادث التاريخية المتعدّدة والمتنوّعة ، ان نقترب كثيرًا من الواقع في تقرير سنة الفداء والقيامة .

واول ما يجب علينا الانتباه له في هذه الحوادث التاريخية وجود بيلاطس البنطي حاكمًا في اليهودية على عهد آلام المسيح . ونحن نعلم ، بواسطة المعلومات المستقاة من تاريخ يوسيفوس اليهودي ، ان هـذا الوالي خُلع في السنة ٣٦ من

حسابنا ، بعد ان اقام في ولايته عشر سنوات اي من ٢٦ الى ٣٦ . فينتج ان سنة الفداء تنحصر بين هـذين التاريخين . وهو استنتاج اول نزيده وضوحاً اذا ما انتبهنا ، من جهة الى ان بيلاطس المذكور كان والياً قبـل ابتداء حياة المسيح العامة ، ومن جهة اخرى الى ان اهتداء بولس الرسول ، الذي لا يمكن ان يتأخر عن السنة ٣٦ ، لا يمكن كذلك ان يكون قد حدث بعد وفاة المسيح باقل من سنتين .

بقي علينا ان نبحث في مدة حيـاة المسيح العامة . ولا يخفى ان اعتقاد الجمهور الكبير من المؤمنين ان هذه الحياة دامت ثلاث سنوات . على اننـا نرى من الواجب ان نقول ، وان فاجأنا اعتقاد الجمهور ، ان هذا الرأي غـير ثابت تماماً . فان ما يورده القديس يوحنا عن الاعياد الفصحية الثلاثة (٢ : ١٣ ، ٦ : ٤ ، ١٣ : ١) التي حدثت خلال رسالة المسيح ، يفيد ان هذه الرسالة دامت سنتين على الاقـل ، ولكن لا يمكن من الاقرار انـه تتابعت على مدة سنة ثالثة ايضاً . ولهذا اختلف العلماء في هذه النقطة ، فتباينت آراؤهم بين السنتين والثلاث . وعليه فاننا بالنظر الى جميع هذه الحوادث نجدنا مدفوعين الى التقدّم خطوة في تقرير سنة الفداء ، فالى حصرها بين السنتين ٢٨ و٣٤ .

ولكن لا يمكننا ان نترك المشكل عنـد هذه النقطة . واي سنة يجب اختيارها ، بين هذه السنوات السبع ، تاريخاً للفداء ؟ وهنا نرى امامنا طريقين للوصول الى نتيجة ترجيحية : الاولى طريق البحث التاريخي المحض ، والثانية طريق الحساب الفلكي .

امـا الاولى فتتصف بكونها غير مباشرة تماماً ، وغير متوافرة الدقة لسوء الحظ . وهي تكون بالتفتيش عن تاريخ تلك السنة الخامسة عشرة لملك طيباريوس التي ذكرها القديس لوقا موافقةً لابتداء حياة المسيح العامة . فمتى بدأت هـذه السنة ، وبالتالي متى بدأ ملك طيباريوس ؟ سؤال سهلٌ واضح لاول وهلة . الا ان البحث فيـه اوصل المفسّرين الى اختلاف يُذكر . اذا اعتبرنا السنة الخامسة عشرة جارية على الحساب العادي ، اي يكونها تبدأ من السنة الرابعـة عشرة لوفاة اغوسطوس ، نرى انها تدوم من ١٩ آب سنة ٢٨ الى ١٩ آب سنة ٢٩ .

فتكون النتيجة من ثمَّ ان آلام المسيح حدثت في السنة ٣١ على اقل تقدير ، او في السنة ٣٣ على الابعد . وبالتالي يجب ان نجعل للمسيح ، اوان اعتماده ، سنًا تجاوز الثلاثين سنة التي يذكرها القديس لوقا (٣ : ٢٣) عمرًا تقريبيًا ليسوع في ذاك الوقت . وذلك لما اشرنا اليه سابقًا من ان المخلص وُلد لا في السنة الاولى للحساب الميلادي الجاري ، بل في السنة الرابعة او الخامسة قبله .

فكان ان تراجع البعض من العلماء امام هذه النتائج المستخرجة من افادة ابعد من ان تكون جليّة الوضوح ، فحاولوا ايجاد طريقة جديدة لحساب السنة الخامسة عشرة من ملك طيباريوس . فلجأوا الى فرضية قوامها ان سنيّ ملك طيباريوس يجب ان تحسب ، لا ابتداء من موت اغوسطوس ، بل اعتبارًا من اشراك طيباريوس بالملك قبل وفاة سالفه بسنتين او ثلاث . وهكذا تتأخر موافقة السنة الخامسة عشرة الى نحو السنة ٢٦ للميلاد . ولكن هذه الفرضية لم تسلم من الانتقاد ، فلاحظ بعضهم انه لم يُعثر قط على رقيم ، ولا على قطعة نقود ، ولا على اي اثر تاريخي يفيد هذه الطريقة في حساب سنيّ الامبراطور طيباريوس . بيد انهم يعتبرون ان القديس لوقا ، على كونه بدأ منذ موت اغوسطوس ، جرى في حسابه على الطريقة الشرقية اي انه اخذ يحسب السنوات من تشرين الاول ، وهو الشهر الذي كان يفتتح السنة في الشرق القديم . وعليه تكون السنة الثانية لملك طيباريوس مبدوءة بتشرين الاول الذي يتلو وفاة اغوسطوس ، فتكون السنة الخامسة عشرة مبدوءة بتشرين الاول سنة ٢٧ .

وبفضل هاتين الطريقتين يمكن هؤلاء العلماء من ان يقدّموا تاريخ الآلام الى السنة ٢٩ او ٣٠ .

على ان ما يفيدنا الآن هو ان السنة ٣٤ وبالتالي السنة ٣٥ والسنة ٣٦ اصبحت خارجة عن محيط البحث . واذن فقد اصبح زمن الفداء محصورًا بين السنوات ٢٦ و٣٤ .

افيحسن بنا ان نقف هنا في البحث ؟ لا لان لدينا لحسن الحظ ، طريقة أخرى تتمم هذه التفتيشات على اسلوب اوفر دقةً ووضوحًا ، وهي الطريقة الفلكية وكثيرًا ما ساعد حسابها الدقيق ابحاث المؤرخين والمفسرين .

مما لا شكّ فيه ان وفاة المسيح حدثت نهار جمعة. ومما لا شكّ فيه ايضاً ان تلك « الجمعة » وافقت مساء اليوم الذي كان على اليهود ان يأكلوا فيه الفصح كما ذكر القديس يوحنا (١٨ : ٢٨) اي اليوم الرابع عشر من شهر نيسان القمري. ولا يخفى ان من السهل على علم الفلك ان يستند الى هذه الموافقة بين يوم جمعة و١٤ نيسان ، فيعطينا الحل الصحيح للمشكل الحاضر . وهو علم دقيق يقرّر بكل وضوح ، على مسافة قرون ، تاريخ الكسوف الفلاني ، او تاريخ ابتداء قمر الشهر الفلاني. واذا فعلى علم الفلك ان يدلنا في اي سنة من السنين ، بين ٢٦ و٣٤ ، كان الرابع عشر من شهر نيسان القمري يوم جمعة.

لقد يكون الامر بغاية السهولة ، لو كنا على يقين من ان اليهود — وطريقتهم في بدء الشهور طريقة المسلمين في عصرنا اي معاينة الهلال بالعين المجرّدة — تمكنوا دائماً من رؤية القمر الجديد منذ يومه الاول ، فلم يُدفعوا الى اقحام شهر زائد من آنٍ الى آخر. ثم ان هناك صعوبة أُخرى ولّدها بعض المفسّرين متأخرين بكون المسيح قد اتمّ الفصح قبل آلامه ، فاستخرجوا انه توفي لا في ١٤ نيسان ، مساء العيد ، بل في العيد نفسه اي في ١٥ منه . على ان علماء الفلك انتبهوا لجميع هذه الصعوبات ، فوضعوا الجداول المتعدّدة الموافقة للفرضيات المختلفة في المقابلات بين ايام الاسبوع و١٤ او ١٥ نيسان القمري مما قد يطول بنا شرحه.

ولكننا نكتفي بالنتيجة المهمّة . وهي انه ، على طول تلك المدة التي ذكرناها والتي حصرنا ضمنها سنة الفداء ، لا نجد نهار جمعة يوافق ١٤ نيسان الا في سنتين وهما السنة ٣٠ والسنة ٣٣. ففي الاولى وافق ١٤ نيسان القمري نهار الجمعة الواقع في ٧ نيسان الشمسي سنة ٣٠ ، وفي الثانية وافق نهار الجمعة الواقع في ٣ نيسان الشمسي سنة ٣٣.

وعلى رغم ما يظهر بعض العلماء من الشكّ بصلاح هذه الطريقة الفلكية، نزانا مدفوعين الى القول انها على تقدم دائم في محيط العلم العالمي. واذاً فلم يبقَ للمفسّرين والمؤرخين الا ان يختاروا تاريخاً للفداء بين السنتين ٣٠ و٣٣. ولكل منهما مريدون وانصار لا يفتأون عاملين على اظهار افضلية الواحدة على

الاخرى.

على ان السنة ٣٣ التي اختارها الاب الاقدس تفرض لحياة المسيح العامة ثلاث سنوات كاملة اعتباراً من السنة الخامسة عشرة لملك طيباريوس محسوبةً حساباً اعتيادياً. فهي تحلّ عدة وجوه من المشكل ، وهذا ما يجعلها على قسط وافر من الارجحية. الا ان الاب الاقدس لا يفرض علينا الاخذ بها في منشوره « Quod nuper » ، كما قدّمنا. ونحن نعتقد ان ما دفعه الى ذلك هو انه عندما افتكر بافتتاح هذا اليوبيل العظيم كانت السنة ١٩٣٠ قد مضت . ولهذا نرى جمهوراً من المفسّرين الكاثوليك ، ان لم نقل اكثريتهم ، لا يزالون محتفظين بافضلية السنة ٣٠ . ومذهبهم في ذلك — وهو يخالف التقليد نوعاً — انهم يفرضون ان السنة الخامسة عشرة لطيباريوس تبدأ على طريقة الحساب الشرقية ، اي من السنة ٢٧ الى السنة ٢٨. ويفرضون ايضاً ان حياة المسيح العامة لم تتجاوز السنتين . على ان هذا المذهب يتجنّب عقبتين ظاهرتين في المذهب الآخر : اولاهما ان المذهب الاول يفرض للمسيح عند موته على الصليب عمراً يبلغ ٣٧ سنة على الاقل ، ان لم نقل ٣٩ او ٤٠ ، مما يبعد بنا عن الثلاثين السنة التقريبية التي يشير اليها القديس لوقا (٣:٢٣). والعقبة الثانية ان المذهب الاول لا يترك بين موت المسيح واهتداء القديس بولس الا مدة ثلاث سنوات على الاكثر ، وهي قصيرة على اي حال . اذ لا يخفى ان اهتداء بولس الرسول حصل في زمن كانت فيه الكنيسة قد تأسست وثبتت حتى خارج فلسطين. وقد كانت في دمشق على ازدهار يظهر غير محتمل ان لم نجعل بين زمنه وبين تأسيسها اربع سنوات او خمساً.

والخلاصة ان للقارئ الكريم حق الاختيار. ولكن مهما كان اختياره ، ومهما ظلّ من الشك حول سنة الفداء ، فان السنة الحالية التي اشار اليها الاب الاقدس تذكاراً لذاك الفداء المجيد ، لجديرة بان تحيي في قلوب جميع المؤمنين احرّ العواطف واخلص العبادات لذاك السرّ العظيم.